



قصة



# الورقة المفقودة

بن غفور فاطمة الزهراء

دائرة

الإخلاء والصواب

للطباعة والنشر والتوزيع

العنوان: الورقة المضفودة  
المؤلف: بن عففور فاطمة الزهراء  
الطبعة الأولى 2021  
عدد الصفحات: 51 ص  
خدمات دار الإخلاص والصواب: تفدقق لغوي، تصميم أعلفمة، إخراج فني داخلي وخارجي

دار  
الإخلاص والصواب  
للطباعة والنشر والتوزيع

الترقيم الدولي: 978-9931-791-64-5

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر، ولا يجوز نهائيا نشر أو اقتباس أو اختزال أو نقل أي جزء من الكتاب سواء كانت إلكترونية أو آلية دون الحصول على إذن كتابي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

دار  
الإخلاص والصواب  
للطباعة والنشر والتوزيع

تعاونيات دركات محمد حي جمال - وهران - الجزائر

الجوال : 0552130741/0771475776

هاتف وفاكس : 041847112

البريد الإلكتروني: tawhid\_sena2006@hotmail.com

## ملخص القصة:

طفل يفضل التكنولوجيا، ويكره مطالعة الكتب .. يضطر للذهاب للمكتبة لينجز بحثا خاصا بالمدرسة تمنع فيها الأجهزة الحديثة والهواتف النقالة يدخل ويبحث عن الكتاب المناسب حتى يجده، يبحث بين الصفحات بتململ، يجد الصفحة المطلوبة، يشعر بالملل أثناء القراءة فيمزق الصفحة ليأخذها ويعيد الكتاب إلى الرف .. ويبادر بالمغادرة يراه أحدهم فيذهب مسرعا ليخبر المشرف على المكتبة، يخاف أن يكتشف أمره فيضع الورقة الممزقة في كتاب موجود بين الرفوف، ثم يركض ويختبئ في القسم الخلفي للمكتبة بين الكتب المهملة ينتظر الفرصة السانحة للهروب، يراقبهم وهم يبحثون عنه في كل مكان لكنهم يفشلون في العثور عليه ثم يهدأ كل شيء ويجد أن الكل قد غادر المكتبة، وبقي هو وحيدا ينتابه الشعور بالخوف والبكاء وهو يبحث عن المخرج .. لكنه فجأة يسمع جلبة وتأنيبا فيختلس النظر ليبرى شيئا عجيبا، مجموعة من الكتب أحاطوا بكتاب يسخرون منه لأنه فقد إحدى صفحاته .. ويتوعدونه بمصيره المشؤوم في قسم الكتب المهملة إن لم يعثر على صفحته المفقودة ..

فيشعر بالذنب الذي اقترفه، ويقرر مساعدته .. في أحداث طريفة ومشوقة فيها الكثير من الدروس والعبر



مرحبا أصدقائي أعرفكم على نفسي، اسمي «سمير» تلميذ في الطور المتوسط وكجميع أقراني الذين هم في مثل سني، أمضي أغلب وقتي على حاسوبي أتسلى بالألعاب الالكترونية التي تستهويني مع رفاقي فإذا غادروا وشعرت بالملل تجدني أتصحف مواقع التواصل الاجتماعي على هاتفي المحمول وأتبادل المحادثات مع رفاقي لوقت طويل قد يصل إلى منتصف الليل، أصبحت مدمنا على كل ما هو إلكتروني، لا أدعه إلا للأكل أو النوم .. ورغم محاولات أمي لمنعي عنه إلا أنها باءت كلها بالفشل، إذ أنها كلما حاولت أخذه مني ارتميت أرضا وصرخت باكيا وهددت وتوعدت بعدم الأكل أو الدراسة إذا لم ترده لي .. حتى أبي وقف عاجزا أمام هذا التعلق الشديد بهاتفي المحمول وحاسوبي ..

كنت أعتقد أنني أقوم بالشيء الصواب، وأن أمي وأبي لا يفهمان ما تعنيه لي هذه الأجهزة الذكية، إنها رائعة تسهل علي دراستي وتمتعني وتنجز لي واجباتي من غير تعب ولا نصب .. هذا ما كنت أعتقد له لصغر عقلي وسني، كنت أتغاضى عن بعض سلبياتها بسبب افتتاني بها لم أكن لأرى أنها تبعديني يوما بعد يوم عن حضن عائلتي الدافئ، فحتى وأنا جالس معهم على مائدة الطعام عينايا لا تفارق جهازي ، كنت أنزعج إن تكلمت معي أمي وسألتي ماذا فعلت في المدرسة اليوم ، فكنت أجيها باقتضاب دون النظر حتى في عينيها: لا شيء ..

حتى قصة أمي ما قبل النوم وقبلتها على جبيني ولمستها الحانية على رأسي لم تعد تهمني إطلاقا، فأنا دائما مشغول بجهازي وألعابي وكنت أقول لنفسي: لقد كبرت على ذلك، ثم إني حفظت جميع قصصها .. كنت أتفاخر بعدد أصدقائي على مواقع التواصل الاجتماعي، لكنني في الحقيقة كنت وحيدا منعزلا، لأنهم سرعان ما يختفون عند إنهاء المحادثة أو انقطاع الأنترنت أو انطفاء الجهاز أو تعطله .. كما أنني أصبحت عصيبا سريع الغضب لأنفه الأسباب خاصة عندما أخسر

تحديا ما في لعبة معينة على حاسوبي.

استمر الوضع على هذا الحال الرتيب، إلى أن جاء ذلك اليوم الذي كلفنا فيه معلمنا في المدرسة بإنجاز بحث حول معنى كلمة «اقرأ ودلائلها المختلفة» ولكن دون الاستعانة بالبحث في المواقع الالكترونية، وإنما من خلال تصفح الكتب الموجودة في المكتبة الكبيرة بمدينتنا.. أذكر أنني شعرت بنوع من الغثيان لما سمعت موضوع البحث ومكانه، ولا أنسى نظرة زميلي «عمر» اليائسة وتأففه من الموضوع.. كانت توكيدات المعلم بضرورة إنجاز البحث ترن في أذني، لكني مع ذلك لم أبال بتهديداته وأصررت على إنجاز بحثي من خلال أجهزتي الذكية فلا وقت لأضيعة في تلك المكتبة المملة التي كنت أمر عليها يوميا. صحيح أنه كان يعجبني تصميمها الخارجي الذي يشبه القصر العتيق لكن لم يخطر ببالي مرة أن أجهها وأتعرف على أقسامها العديدة، أو حتى أنظر إلى كتبها المترابصة على الرفوف تنتظر من يمسح عنها الغبار..

انتهت الحصة ودق الجرس، فخرجنا نركض بسعادة كعصافير تحررت من أقفاصها وأخيرا انتهينا من يوم دراسي طويل وثقيل، الدراسة مملة ومرهقة كما أن معلمنا جاد جدا وصارم ولا يقبل التهاون أبدا، أحيانا أخاله رجلا أليا لا يتعب أبدا، فبمجرد أن تبدأ الحصة لا تسمع منه إلا كلمة: افتح الكتاب صفحة كذا، طالع، أنجز، حل التمرين رقم، استظهر كما أنه من النادر أن يتغيب عن حصصه إلا للضرورة القصوى أو لظرف طارئ، إنه مخلص جدا في عمله ودائم النصح لنا، ودائما يحكي لنا قصصا فيها الكثير من الدروس والعبر، كنا ننمهر لثقافته الواسعة، ولا عجب في ذلك فلا تراه إلا وهو يحمل بين ذراعيه كتبا كثيرة يحضنها كمن يحضن أطفاله ويعتني بها أيما عناية. ومع أننا نحترمه ونحبه إلا أننا كنا نراه من الرعيل الأول الذين يقدسون الكتب ولا يكثرثون للتكنولوجيا، حتى وقت الاستراحة كنا نراه يطالع كتابا، كانت علاقته

بالكتاب تدهشني حقا فأنا لا أطيق حتى مطالعة كتبنا المدرسية المقررة علينا، أذكر مرة أنني شاهدته يطالع كتابا باهتمام شديد، اقتربت وقلت له:

- مرحبا معلمي، هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟
- ابتسم وقال:
- تفضل بني، هات ما عندك؟
- أراك دائما تطالع الكتب، ألا تتعب من ذلك، أقصد ألا تشعر بالملل؟

- ضحك طويلا ثم قال:
- أجبني أنت أولا عن سؤالي
- فقلت خجلا:
- ما هو يا معلمي؟
- قال:
- هل تحب الحلوى؟
- قلت مبتسما:
- بالطبع، ومن منا لا يحبها
- ضحك وقال:
- هل تمل لكثرة أكلك لها؟
- قلت:
- لا، بل أرغب دائما بالمزيد والمزيد منها
- فضحك وقال:
- ولم؟؟
- فقلت:
- إنها تشعرنني بالسعادة، فمذاقها حلو وطعمها لذيذ
- ضحك المعلم طويلا، ثم نظر إلي بحنان وقال:

- وهذا ما تمثله لي القراءة يا بني، إنها بمثابة الحلوى اللذيذ طعمها، ومع كل كتاب أستزيد حلاوة ومتعة، هل فهمت الآن لماذا أحب الكتب، وأحرص على اقتنائها وقراءتها.

أعترف أنني لم أفهم جيدا ما يرمي إليه، فكيف له أن يشبه الكتاب بقطعة حلوى؟ لكن كلماته الصادقة وإحساسه المرهف اتجاه كتبه شدني إليه أكثر، لقد ازددت احتراما له ولفكره فنادرا ما تجد إنسانا يشبهه في عالمنا هذا الذي غزت فيه التكنولوجيا والأجهزة الذكية كل شيء.

لاحظ معلمي حيرتي فربت على كتفي وقال مبتسما:

- يوما ما ستفهم كلامي يا بني، حينها فقط يمكنك أن تتذوق شهد العسل من بطون هذه الكتب.

وفي طريق عودتي إلى البيت رفقة صديقي «عمر» كنت مشغول البال أفكر في كلام معلمي عن الكتب وسر تعلقه بها، غير مكترث لصديقي «عمر» الذي كان يتحدث طول الطريق عن مزايا هاتفه الجديد الذي حصل عليه كهدية في عيد ميلاده الحادي عشر، وفجأة مررنا بالمكتبة الكبيرة إنها صرح جميل وعتيق يزين مدينتنا لكن مرتادوها قليلون جدا فلا أحد يهتم بالمطالعة وقراءة الكتب، توقفت أمامها أنظر إليها من بعيد، كان هناك شيء يجذبني إليها، يناديني لكني لم أعرف ما هو؟ توقف «عمر» ونظر إلي قائلا:

- لكن إلام تنظر «سمير»؟ لا تقل لي أنك تفكر في الدخول إليها

- فقلت :

- من أنا، لا لا، مستحيل أن أدخل مكانا مملا كهذا؟

- ضحك «عمر» وقال:

- انظر إليها إنها أقرب للمتحف منها للمكتبة .. المجانيين فقط

من يدخلونها فقوانينها صعبة وصارمة، لا أدري كيف يحتملون البقاء

صامتين يطالعون الكتب لساعات متواصلة، أه مجرد التفكير في ذلك يصيبني بالدوار.

- فقلت له موافقا:

- معك حق، لماذا علي أن أذهب إلى المكتبة لأطالع كتباً كثيرة، في حين أستطيع أن أحمل مكتبة كاملة على لوحة رقمية، أخذها معي حيثما أردت، وأطالع وقتما شئت، التكنولوجيا حقا رائعة ومذهلة. عدت للبيت مشتاقا لهاتفي المحمول وحاسوبي، فهما عالمي الجميل الذي يأسرني بما فيه من ألعاب وتطبيقات وتقنيات متطورة.. فتحت هاتفي لأتصفح مواقع التواصل الاجتماعي.. لكن أمي وبختني قائلة:

- سمير، اترك الهاتف وتعال لتتناول غذاءك حالا

- فقلت متمللا:

- أمي أنا مشغول، امنحيني خمس دقائق فقط وسأتي

- هذا ما تقوله كل يوم، لكنك تستمر لساعات وتنسى تناول

غذاءك، لقد طُفح الكيل

ثم حاولت أخذه مني عنوة، لكني تشبثت به.. وخلال الشد والمد سقط الهاتف أرضا وانكسر، تجمدت من هول المنظر، وصرخت أبكيه بشدة وأنا أحاول جمع أجزائه المحطمة والمبعثرة.

حاولت تشغيله من جديد لكن عبثا كنت أحاول، تملكني شعور بالحزن الشديد ونظرت إلى أمي نظرة مليئة بالغيظ والغضب، وقلت معاتباً:

- أنت السبب، انظري ما الذي فعلته؟ لن أسامحك أبدا

سمع أبي صراخي على أمي، فجاء مسرعا يستفسر فانتهزت الفرصة وازددت نحيبا ظانا مني أنه سيدشفق علي ويؤنب أمي، لكن المفاجأة أنه صفعني بقوة وقال غاضبا:

- قليل الأدب، وهكذا تخاطب أمك التي وصاك الله ببرها في قرآنه العظيم .. لقد حولتكم التكنولوجيا إلى آلات عديمة الإحساس .. لقد جعلتني تلك اللطمة على خدي أستفيق من غيبوتي، وأزاحت الغشاوة عن عيني، أبي محق لقد تحولت فعلا إلى ابن عاق .. أجل لقد حولتني هذه الأجهزة الذكية إلى إنسان بليد فاقد للإحساس .. لقد أصبحت عبدا لها أعيش فقط في عالمها .. فأنا أعيش في المواقع لا الواقع ..

وبدل أن أعتذر لهما كما كنت أفعل في الماضي، دخلت غرفتي ساخطا وأغلقت الباب على نفسي .. حاولت أمني أن تراضييني لكن أبي منعها عن ذلك .. كنت أتخبط على سريري لا أدري ماذا أفعل، فهاتفني المحمول قد تحطم، وأبي سحب مني حاسوبي عقابا لي على سوء تصرفي .. وما زاد من حزني تذكري للواجب المدرسي الذي كلفت بإنجازه في المكتبة .. يا إلهي إنه حقا كابوس .. استلقيت على سريري حزينا كسير القلب وبعد مدة سمعت طرقا خفيفا على الباب لقد كانت أمني أنت لتطمئن علي وتدعوني للعشاء، لكنني تجاهلت نداءها وتكورت في سريري مدعيا النوم رغم أن عصافير بطني كانت تزقزق صارخة من شدة الجوع فأنا لم أتناول شيئا منذ وجبة الفطور صباحا ومع أنني كنت أتضور جوعا، إلا أن عنادي جعلني أرفض تناول العشاء معهم.

حاولت أن أنام لكنني لم أستطع لشدة الجوع، فبطني ظلت تقرقر طوال الليل، خرجت متسللا من غرفتي نحو المطبخ أبحث عن شيء لأكله لكنني تفاجأت بصينية مغطاة على الطاولة فيها ما لذ وطاب من الأكل، إنها أمني الحنون عرفت أنني سأجوع ليلا فتركت لي نصيبي من الطعام .. كم أحبها، وكم أنا محظوظ بأمر مثلها، كنت أكل وأذرف دموع الندم لأنني كنت فظا معها، وعاهدت نفسي ألا أكرر هذا الخطأ الشنيع مرة أخرى .. انتهيت من وجبتي الدسمة، وعدت إلى سريري وقد غلبني

النعاس فنمت ملء جفوني ..

وفي الصباح اليوم التالي، الذي صادف عطلة نهاية الأسبوع  
استيقظت باكرا على غير عادتي فوجدت أمي في المطبخ تحضر لنا فطور  
الصباح اقتربت منها مطأطئ الرأس وقلت لها:

- أمي سامحيني على ما بدر مني بالأمس، أنا أسف حقا  
نظرت إلي بحنان وقالت:

- لا عليك، لقد سامحتك بني ولكن..

- لكن ماذا، يا أمي؟

- عليك أن تعتذر لوالدك أيضا فهو ما يزال غاضبا منك

- حسنا ، سأفعل – إن شاء الله-

ثم حضنتها وقبلتها، وإذا بأبي قد أقبل من صلاة الصبح في  
المسجد يتلأأ وجهه نورا، فاتجهت نحوه وقبلت يده وطلبت منه الصبح  
، فقبل رأسي وقبل اعتذارني ، ثم جلسنا نتناول فطور الصباح .. لقد  
قمت نشيطا على غير العادة، وهذا لأنني لم أسهر كعادتي إلى وقت متأخر  
من الليل على هاتفي النقال .. فعلا إحساس مختلف وجميل فطالما كنت  
أعاني الخمول والتعب بسبب السهر .. سألني أبي:

- اليوم عطلة، فلماذا استيقظت باكرا؟

- فأجبتة وأنا لازلت أشعر بالخجل منه:

- طلب منا المعلم أن ننجز بحثا في المكتبة

- ضحك متفاجئا وقال: حقا، هذا شيء رائع

نظرت إليه باستغراب وقلت:

- أبي، إن المكتبة مكان ممل ، وأنا ذاهب إليها مرغما

استمر أبي بالضحك وقال :

- صدقني يا بني ، إنها أرقى مكان يمكن أن تتواجد فيه ، إنها ذات

قيمة ونفع عظيمين ، فيها كنوز المعرفة والعلم ، وكل كتاب يحمل بين

دفتيه علوما وأسارارا وحكما وفكرا يرسم لك ملامح العالم ويضع بين يديك مفاتيح الحياة ..

فقلت متهمكما:

- يمكنني أن أتعرف على كل هذا من كبسة زر على حاسوب، فنحن في عصر التكنولوجيا .. والكتب أضحت شيئا قديما وبدائيا نظراً إلي وقال:

- التكنولوجيا التي تتبجح بها خرجت من بطون الكتب، فهي التي نقلت العلوم بين الأجيال، وكل جيل طرح أفكاره للجيل الذي يليه حتى وصلنا إلى هذا القرن الزاخر بالاكشافات العلمية المبهرة التي نشهدها يوميا .. يوماً ما ستفهم كلامي بني ..

أصدقكم القول أنني لم أفتنع بكلامه، وهذا ليس ذنبي فكلانا من جيلين مختلفين، ويرى الدنيا بمنظور مختلف، فأبي جيل الكتب والمطالعة، وأنا جيل التكنولوجيا والسرعة.. وشتان بين الثرى والثريا أنهيت فطوري، وقبلت يد أمي بعد أن شكرتها على الوجبة اللذيذة، لكنني تفاجأت أنها بدأت تذرف الدموع..

فقلت لها مستغرباً:

- أمي لماذا تبكين؟

- فقالت:

- من الفرح يا بني، فمنذ مدة طويلة لم تقبلني أو حتى تشكرني

بهذا الشكل اللطيف

صعقت لما سمعته منها، أدركت حينها فعلاً أن التكنولوجيا سرقت مني لحظات رائعة مع عائلتي، وكأنني كنت منوما مغناطيسياً .. حتى أبي تأثر للموقف، وابتسم لي ابتسامة الرضا ودعا لي بالخير .. شعرت بفرحة غامرة لم أعهد لها من قبل .. ما أجمل بر الوالدين ، لقد تحسرت فعلاً على المواقف السيئة التي آذيتهما فيها عن غير قصد

وعاهدت نفسي أن أكون باراً بهما ما دمت حياً ، فقد أوصانا الله بالإحسان إليهما ، وخذرنا من عقوقهما..

ارتديت ملابسني، وخرجت من البيت بعد أن ودعت والدي، متجهاً إلى المكتبة أدفع نفسي إليها دفعا، وبعد دقائق من المشي وصلت إليها وقفت أنظرها بإكبار فقد بدوت كالقزم أمامها ، صعدت بضع درجات ثم دفعت بايها الخشبي الكبير والمنقوش بأشكال وألوان جميلة تبهج النفس وزخرفات تسحر العين ، ثم دخلت ردهة الاستقبال حيث كان يتواجد بها المشرف العام على المكتبة ، كان رجلا في العقد السادس من عمره ، قد رسمت التجاعيد خريطة على وجهه الأبيض النحيل ، وكان شعره الأشيب يتوهج لشدة بياضه ، كان جالسا على مكتب الاستقبال يعلوه الوقار والهدوء ، يضع نظارات ويمسك كتابا بين يديه يطالعه .. كان المكان هادئا جدا، ثم نظرت إلى الداخل فإذا قليل من مرتاديهما جالسين يطالعون في صمت رهيب كأن على رؤوسهم الطير لم يلتفت إلي أحد لشدة انتباههم وتركيزهم في المطالعة.

لكن المشرف لاحظ حيرتي فابتسم لي مرحبا وقال في صوت يشبه

الهمس :

- مرحبا بك بني ، كيف أساعدك ؟

لكنني تحدثت معه بصوت مرتفع كعادتي، وقلت:

- مرحبا، أنا اسمي سمير ووجئت إلى هنا ..

لم يدعني أكمل كلامي، بل أشار إلي بخفض صوتي حتى لا أشوش تركيز الآخرين، ثم أشار إلى لوحة التعليمات المعلقة على الجدار والمكتوبة بخط واضح وجلي تحوي تنبيهات وإرشادات وتوجيهات عن ضرورة التزام الصمت والهدوء، واجتناب الثثرة والأكل والضحك وممنوع منعا باتا إحصار الحواسيب أو الهواتف النقالة، والمحافظة على الكتب وإرجاعها لمكانها المخصص بعد الانتهاء من مطالعتها فللمكان قدسية يجب أن

تحترم وقوانين يجب أن تضبط ..

شعرت بالرهبة وقلت في نفسي:

- ما هذا، إنه أمر ممل حقا .. هل أنا في سجن ؟

لاحظ المشرف امتعاضي ودهشتي فقال لي مبتسما:

- يبدو أنها أول مرة تأتي فيها إلى هنا بني، لا بأس ستعود على

المكان مع الوقت .

شعرت بنوع من الضيق وعدم الراحة في هذا المكان الغريب، لكنني مضطر للدخول والبحث بين الكتب، أخبرت المشرف عم أبحث عنه وقد كان متعاوناً جداً، إذ أمسك بيدي وأخذني إلى القسم المطلوب حيث توجد الكتب التي أحتاجها لإنجاز بحثي .. كانت مرتبة بطريقة هندسية جميلة، فيها لمسة إبداع واضحة، وكأنها رتبت بكثير من الاهتمام والحب والاحترام والتقدير ..

كنت أمشي بجانبه وعيناي تستكشفان المكان، لقد كان حقا واسعا جدا تتوسطه طاولات كثيرة حيث تجلس لتطالع أو تكتب، وهي محاطة برفوف كثيرة تصل إلى السقف لطولها وهناك سلم طويل يستعين به القائمون على المكتبة لترتيب الكتب عليها، كما أن هناك الكثير من الأقسام التي على أساسها يقومون بترتيب الكتب، فهناك قسم للتاريخ وآخر للأدب .. وللعلوم والاختراعات وهذا للقصص .. ولفت انتباهي قسم خلفي للمكتبة يبدو مظلما ومهجورا .. كانت رائحة الكتب الورقية تعم الأجواء ..

توقفنا عند قسم الموسوعات الأدبية، فأجلسني المشرف على الطاولة وبدأ يبحث بين الكتب عن كتاب يساعدني في بحثي حتى وجد كتابا يبدو قديما صفحاته صفراء مهترئة، فأعطانيه وقال لي:

- تفضل بني هذا الكتاب، سيساعدك كثيرا صدقني

نظرت إلى الكتاب مشمئزا، وأمسكته متقرزا لكبر حجمه وبساطة

غلافه فوضعتة على الطاولة بسرعة أمسح عنه الغبار، نظري المشرف وقال:

- أرى أنك لم تحبه، لكن بني لا تحكم على الكتاب من غلافه لم أفهم شيئا مما قاله لي، وانصرف عائدا لمكتبه بعد أن شكرت مساعدته لي، ثم فتحت الكتاب أنظرما في جعبته، كانت صفحاته كثيرة، ولونها أصفر والخط صغير بالكاد أستطيع قراءة الكلمات ناهيك عن فهمها لشدة تعقيداتها، شعرت بالملل والضجر وأنا أتصفح إلى أن وجدت الصفحة المطلوبة.. شعرت بالفرح الشديد، فما علي الآن إلا أن أنقل المعلومات إلى ورقة خارجية وأنصرف من هذا المكان، أه مشكلة لکني نسيت قلبي ودفترتي، كيف سأصرف الآن؟

حاولت أن أطلب المساعدة من الجالسين هناك بعيدا عني يطالعون في اهتمام وتركيز شديدين.. لکني عدلت عن فكرتي، لقد خفت أن ينعنونني بالمهمل والأحمق إذ من غير المعقول أن آتي إلى المكتبة دونهما.. كان الزمن يمضي بسرعة والوقت يشارف على النفاذ، فخطرت ببالي فكرة، وقلت أحدث بها نفسي:

— لماذا لا أمزق الورقة، وأخذها معي إلى البيت؟

أعجبتني الفكرة، لکني ترددت، كنت أخشى أن يكتشف أمري وأعاقب، فهذا فعل مخز حقا، لکني تشجعت خاصة لما رأيت الحاضرون يهمون بالمغادرة، كانت يداي ترتجفان وجبيني يتصبب عرقا وأنا أمزق الورقة من الكتاب من غير رحمة ولا شفقة، حملت الورقة لأخبئها لكن المفاجأة أن أحدهم رأني فصرخ فزعا، وذهب يركض ليخبر المشرف.. شعرت بالرعب والخوف الشديدين، فأعدت الكتاب إلى الرف لكن في غير مكانه، ووضعت الورقة في كتاب أخر حتى لا يكتشف أمري وركضت لأخبئ في القسم الخلفي للمكتبة، لقد كان مظلمًا ومخيفًا وكانت فيه الكثير من الكتب الممزقة والمرمية على الأرض، كانت أنفاسي تكاد تنقطع

من الخوف وقلبي يكاد يخرج عن صدري لشدة خفقانه خاصة عندما سمعت وقع أقدامهم وهم يبحثون عني وكانوا قريبين جدا من مكان اختبائي، أنا حقا في ورطة حقيقية، ثم سمعت أحدهم يقول:

- هل قلت إنه طفل في العاشرة من عمره؟

- أعتقد ذلك

- لكن كيف هو شكله، وما الذي كان يرتديه؟

- لا أذكر، فقد كان تركيزي منصبا على فعلته الشنيعة بالكتاب

- آه، لا تذكرني سيدفع الثمن غاليا عندما نجده

وقال آخر:

- هذا جيل التكنولوجيا، لا يقدر الكتب ولا يعرف قيمتها.

كانوا يبحثون عني بين الأقسام المختلفة، لكنهم لم يعثروا علي

فبدأوا ينادونني بالترغيب:

- أيها الولد أين أنت، اخرج من مكانك ولن نعاقبك نعدك بذلك

لكني اختبأت جيدا بين الكتب، ولم أصدر أية حركة أو صوت قد

يكشفان مكاني، فلما يئسوا من العثور علي قال أحدهم متوعدا:

- هيا قلت لك اخرج، فصبري بدأ ينفذ... إذا أنت مصر حسنا

ستنال عقابك حالا.

كاد قلبي يتوقف من شدة الخوف.. وما زاد الطين بلة أنني سمعت

صوت المشرف الذي عاملني بلطف وهو يقول:

- ولكن ما الذي يجري هنا؟

فأخبروه بما فعلته بالكتاب، لقد أحسست بفضاعة فعلي،

وأدركت حجم الخطأ الشنيع الذي قمت به، لكنني لم أستطع إظهار

نفسي له خجلا منه، فقال لهم:

- أين هو الآن؟

- لا ندرى، لكنه موجود هنا نحن متأكدون من ذلك

- هل بحثتم جيدا  
- أجل لكن لم نعثر له على أثر ...  
- حسنا، أعتقد أنه غادر المكان دون أن تنتهبوا له، يمكنكم  
المغادرة وأنا سأتولى الأمر بنفسني  
- لكن سيدي ..  
- لو كان موجودا هنا لوجدناه، وإن كان مختبئا فسيخرج لا  
محالة .. يمكنكم الانصراف الآن ..  
قال أحدهم: إنه طفل مستهتر ويستحق العقاب، عندما نقبض  
عليه سنجعله عبرة لكل من يحاول إلحاق الأذى بالكتاب ..  
كنت أستمع لحوارهم وفرائصي ترتجف خوفا، فجأة حل صمت  
رهيب في المكان، ثم سمعت الأبواب وهي تغلق، لقد غادر الجميع وتركوني  
بمفردي مع الكتب .. قمت متسللا لأتفقد المكان .. كان مظلمًا وهادئا.  
ركضت نحو الباب فوجدته مغلقا، حاولت فتحه لكن دون  
جدوى، هل أنا محتجز هنا؟ هذا ما فكرت فيه حينها، أرعبتني الفكرة  
كثيرا وبدأت أدق الباب وأصرخ لعل أحدهم يسمع صوتي ويساعدني،  
لكن دون جدوى، أتذكر أنني بكيت كثيرا ندما وخوفا، وخارت قواي  
فسقطت على الأرض مغمى علي .. ولم أستفق إلا على صوت جلبة  
في زاوية بعيدة في المكتبة، فقامت مسرعا لأستكشف الأمر، تتبععت  
الأصوات جيدا ونظرت عبر الرفوف فإذا بالمفاجأة ..  
لم أصدق ما رأيته عينا، كانت مجموعة من الكتب تلتف حول  
كتاب مرمرى على الأرض يبكي يطلب منهم المساعدة، لكنها كانت تسخر  
منه، وتخبره أن مصيره سيكون في القسم الخلفي للمكتبة حيث مقبرة  
الكتب الممزقة .. كان يبكي بشدة ويقسم لهم أنه لا ذنب له فيما حصل  
له، لكنهم لم يصدقوه، وانصرفوا وتركوه بمفرده ليلقى مصيره المشؤوم  
..

- حزنت لأجله كثيرا، تشجعت واقتربت منه وقلت له:
- مرحبا صديقي الكتاب، لم أنت حزين؟
  - نظر إلي مستغربا وقال:
  - لكن من أنت؟ وما الذي تفعله هنا، في هذا الوقت؟
  - إنها قصة طويلة، لكن أخبرني لماذا تبكي؟
  - أه يا صديقي، أنا في ورطة حقيقية، أحدهم مزق إحدى صفحاتي ورمأها بعيدا، وإن لم أعثر عليها الليلة فسيلقون بي في ذلك القسم المرعب والمنسي من المكتبة، كل الكتب تخشى ذلك المكان المهجور...
  - فسألته لكن كيف فقدت ورقتك؟
  - بسبب أحدهم عديم الإحساس، مزق جزءا مني دون رحمة أو شفقة ..
  - نظرت إليه جيدا، وقلت له:
  - ومتى حدث هذا الأمر؟
  - اليوم فقط، لقد كنت منسيا على الرف منذ سنوات، حتى أقبل إلي أحدهم وأخذني ومسح عن وجهي الغبار، كم كانت فرحتي كبيرة، ثم بدأ يبحث بين صفحاتي التي اصفرت من قدمها ولم يلاحظ حروفي وهي تتراقص ابتهاجا به وأخيرا شاهدت النور وخرجت للحياة.
  - لكن سعادتي لم تستمر طويلا فقد توقف عند صفحة معينة و...
  - ماذا؟ أكمل من فضلك
  - سكت الكتاب يذرف دموعا حارقة ثم قال بصوت يملأه الغيظ:
  - لقد مزقتها بدون شفقة أو رحمة، لقد أحدث شرخا عميقا في قلبي، وتركني متسانلا؛ ولكن ما الذي فعلته له حتى يجازيني بهذا الفعل الشنيع ..؟

- نظرت إليه جيدا، لأتأكد إن كان هو .. ثم قلت في نفسي:
- يا إلهي، إنه هو الكتاب نفسه الذي مزقته بيدي، لكن ما الذي فعلته بهذا الكتاب المسكين؟ أنبني ضميري كثيرا، وقررت أن أصحح خطئي، وأردت أن أعتذر منه لكنه قاطعني قائلا:
- أتدري يا صديقي، لن أسامحه أبدا على فعلته؟
- تلعثمت، وانعقد لساني، لكني تشجعت وقلت له:
- اعذره يا صديقي فلربما قام بهذا الفعل دون أن يعرف العواقب، أو لأنه كان فعلا محتاجا لتلك الورقة؟
- فرد علي والغضب يتطائرا شررا من عينه:
- مستحيل، أنت لا تدرك حجم الكارثة التي قام بها، لقد جعلني بلا قيمة، وشوه مظهري، ولم يحترم كبرسي، فقد اصفرت أوراقي لشدة قدمها، كما أنه حرم الكثيرين من المعلومات القيمة التي كانت مكتوبة على صفحتي المفقودة، فأنا كتاب نادر وكل الكتب في هذه المكتبة العريقة تشهد بذلك .. وبسببه أصبحت الآن محطاً للسخرية ومهددا بأن أرمى في مكان مهجور ومنسي ..
- كانت كلماته تقع كالمطرقة على رأسي، فقد أذيته كثيرا، وكنت السبب في تعاسته، لكنني سأصحح غلطتي هذه، ورغم أنني نسيت أين وضعت الورقة إلا أنني تحمست وقلت له :
- لا عليك يا صديقي سأبحث لك عن تلك الورقة المفقودة، أعدك بذلك
- اغرورقت عيناه بالدموع وقال لي:
- هل ستساعدني حقا؟
- قلت له:
- أجل، ولنبدأ الآن، هيا بنا

- حملته برفق، وبدأنا البحث في أول قسم، كان قسم التاريخ والجغرافيا، مشيت خطوات حتى استوقفتني صوت يقول لي:
- مكانك توقف، ممنوع الدخول إلى هذا القسم حتى تجيب عن ثلاثة أسئلة، فالتفت فإذا هو كتاب عظيم وخلفه حشد من الأقدام تقف وراءه كالجند تحرسه فقلت مستغربا:
- من أنت؟ ولماذا تمنعني من الدخول؟
- أنا أقدم مخطوطة في هذه المكتبة، أحمل بين جنبي أسرار الحضارات البائدة، والأمم التي كانت سائدة في ذلك العصر .. وهذا القسم عريق ولن أسمح إلا لمن يحب القراءة والمعرفة بالدخول إليه، فهل أنت منهم؟
- ربط لساني، وقلت له مترددا:
- حسنا في الحقيقة، أنا ..أنا
- نظري إلى متمحصا، ثم قال:
- إذا كما توقعت أنت من هذا الجيل الذي يمقت الكتب، ويدمن على التكنولوجيا، أه أين أنت يا إدريسي لترى أحفادك كيف أهملوا الكتب والمطالعة؟
- فقاطعته قائلا:
- أتقصد بالادريسي الذي وضع أول خارطة للعالم؟
- اندهش وقال لي مبتسما:
- أجل يا بني، الحمد لله إذا أنت تعرفه؟
- بالطبع، إنه جغرافي عالم مغربي مسلم رحالة وراسم للخرائط
- صفق مبتهجا وقال:
- أحسنت، الآن فقط صرت صديقي، والآن أخبرني ما اسم كتابه الذي ألفه ؟

- فاجأني بسؤاله كثيرا، وكنت أعصر عقلي لتذكر ما شرحه لنا معلمنا مرة أثناء درس الجغرافيا الذي صادف درس الخرائط وعلاقتها بالعالم الإدرسي، حينها رأيت الدرس مملا، ولم أنتبه جيدا للشرح .. ولم أتذكر من الدرس إلا هذه المعلومة، بدأت أقضم أظفاري، وبدأ جيبني يتصبب عرقا خاصة عندما كان الجميع ينتظر مني الإجابة، فقلت له:  
- لحظة دعني أتذكر ..

فكرت وفكرت لكن دون جدوى، فقال لي صديقي الكتاب، هل تحتاج إلى مساعدة؟

- قلت: أجل يبدو ذلك  
- فقال لي: افتح الصفحة السبعين، وابحث عن المعلومة لعلك تجدها

- فقلت مستغربا:  
- هل أنت متأكد؟  
- قال بكل ثقة:  
- أجل، فلا تنسى أي موسوعة ودون أن أشعر حزنه بين ذراعي، وفتحت الصفحة المطلوبة، وفعلا كان فيها معلومات عن العلماء المسلمين، وكان من بينهم الإدرسي بكتابه، آه لقد وجدته، شكرا لك صديقي، ثم قلت للمخطوطة:

- لقد عرفت اسم مؤلفه المشهور  
- فقالت لي:  
- وما هو؟  
- إنه كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الآفاق »، أليس كذلك؟  
- بلى، إنه هو

ضحكت فرحا بنجاحي أنا وصديقي الكتاب، لكن المخطوطة نظرت إلي بحزم وقالت:

- لا تفرح كثيرا، فلا يزال هناك سؤال صعب آخر في انتظارك؟
- تصعب جبيني عرقا وقلت:
- لكن ما هو السؤال؟
- فقالت:
- تحتوي المجرة الواحدة على عدد ضخم من النجوم، فكم يصل عددها؟
- هذه المرة أسقط في يدي، وقلت:
- لا، هذا سؤال صعب جدا، لا يمكنني الإجابة عليه
- نظرت إلي صديقي الكتاب وقال:
- لا تقلق يا صديقي، افتح الجزء المخصص للثقافة العامة، ستجد الإجابة هناك ..
- علت وجري ابتسامة، وقلت:
- أنت حقا كتاب رائع
- ثم بدأت أتصفح الأوراق، فوجدت الإجابة في ركن هل تعلم؟، كانت المخطوطة تنظر إلي في تحد، فقد كانت متأكدة أنني لن أعر على الإجابة، لكنني أجبتها قائلا:
- لقد وجدت الحل
- فقالت متفاجئة:
- مستحيل إنه سؤال صعب
- الإجابة هي: مائتي مليار نجم في المجرة الواحدة، بل وأزيدك يا عزيزتي أن اسم مجرتنا هو « درب التبانة »
- نظرت إلي المخطوطة بإكبار واعتزاز وقالت :
- فعلا إنها إجابة صحيحة، أنت حقا طفل ذكي، سأسمح لك الآن بالدخول إلى هذا القسم، فأنت مرحب بك هنا

- شكرت كتابي، فالفضل يعود إليه في نجاحي في هذه المهمة الصعبة وأفسحت لي المخطوطة مع جيشها من الأقلام الطريق للمضي قدما نحو البحث عن الورقة المفقودة.. بحث في جميع الكتب لكن دون جدوى فالورقة ليست هنا شعر كتابي بالحزن الشديد، لكني طمأنته قائلا:

- لا تقلق يا صديقي لنبحث في قسم آخر  
ثم حملته وانطلقنا إلى قسم الأدب، دخلنا إليه نمشي بكل أدب ووقار لكنني وجدت قرع الطبول لمعركة بين الشعر والنثر، فقلت:  
- على رسلكما لماذا تتشاجران؟

- فقال الشعر:

- إنه يغيضني، يدعي أنه الأفضل والأمثل

- فقال النثر مزهوا بنفسه: لكني فعلا كذلك

- فقلت لهما محاولا الصلح بينهما:

- توقفا عن ذلك فأنتما كلاكما تمثلان الأدب

- نظر إلي النثر وقال:

- ما الذي تقوله كيف تساوي قصصي ورواياتي ومسرحياتي

وخطبي وخواطري بمجموعة من الأبيات الشعرية، هل فقدت صوابك؟

- فقال الشعر:

- رأيت كم هو مغرور، وكأنه نسي معلقاتي السبع التي كانت

تكتب بماء الذهب وتعلق على ستار الكعبة

- فقلت لهما:

- حسنا ما رأيكما أن نقوم بمسابقة بينكما نعرف فيها من

الأفضل، هل أنتما موافقان؟

- قالوا معا: أجل، نحن موافقان

- فقلت لكتابي:

- عليك أن تساعدني في إيجاد أسئلة مناسبة لهما
- فكر قليلا، ثم قال لي:
- افتح الصفحة الأربعين قسم نوادر الأدب ، وانظر لعلك تجد

شيئا

- فتحت الصفحة المطلوبة، وبدأت أبحث مجدا عن سؤال صعب لكل منهما حتى أتمكن من إنهاء المشكلة بينهما، واستمررت في البحث أطالع وأدقق حتى وجدت المطلوب، وكما كانت فرحتي كبيرة، ثم نظرت إلى الشعر وقلت له:

- إليك هذه الحكمة من النثر، وفسر لي معناها.
- فقال الشعر مترددا:
- هاتها، وأمرني إلى الله
- فقلت: الحكمة تقول:
- « أنت تَنقُ، وأنا مَنقُ، فكيف نتفق؟ »
- نظر إلي الشعر حائرا، لا يدري ما يجيب؟
- حينها ضحك النثر وقال:
- إنها سهلة للغاية، فالمقصود هو: أنا سريع الغضب، وأنت سريع البكاء، فكيف نتفق؟

استمر النثر بالضحك، وكان الشعر يشعر بالحزن فقلت للنثر:

- تمهل، يضحك كثيرا من يضحك أخيرا، وسؤالي لك هو كالاتي:
- هل يمكنك أن تقرأ هذا البيت الشعري بسرعة ودون أخطاء؟
- فقال النثر متفاخرا:
- هاته، فأنا جاهز للتحدي
- فقلت حسنا، قل إذا:
- وَقَبْرُ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرٍ ... وَلَيْسَ قُرْبُ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

- تلعثم النثر ولم يستطع إكمال البيت الشعري، فانفجر الشعر ضاحكا وقال له ساخرا:
- إنه بيت سهل، لماذا عجزت عن تهجئته؟
- ثم نظر النثر وقال غاضبا:
- وهل تسمي هذا شعرا، إنه غريب وصعب
- فقال الشعر متمكما:
- صدقني ليس بغرابة مفرداتك أنت، وكما تقول: « يداك أوكتا وفوك نفخ »
- فقال النثر: آه يا إلهي، لقد حل بي ما تقوله:
- ألم ألم ألم ألم به إن أن أن أن آوانه
- ثم ضحكا معا، أما أنا فقد تسمرت مكاني مندهشا لما أسمعته، فلم أفهم حرفا مما قالاه، لاحظا دهشتي وحيرتي وقالوا لي:
- ما بك، تبدو مندهشا
- فقلت:
- ما هذه اللغة التي تحدثتما بها الآن؟
- ضحكا وقالوا:
- إنها اللغة العربية الفصحى، عجبا لسؤالك
- نظرت للشعر وقلت له:
- لطفا هلا شرحت لي الحكمة التي قلتها؟
- ضحك وقال:
- من المفروض أن يجيبك عنها النثر، لكني أحفظها عنه ومعناها يداك رطبتا، وفمك نفخ .. وهو مثل ضرب لرجلين أرادا قطع النهر ولا يتقنان السباحة فأخذ كل منهما قربة من جلد الماعز ونفخها بفمه وربطها بيديه جيدا حتى لا يخرج منها الهواء، ثم ربطها على بطنهما لتبقيهما على سطح الماء حتى لا يغرقا، يمكنك القول أنها بمثابة سترة

النجاة في عصرنا هذا .. ولما فرغا قفزا يقطعان النهر فلما جاوزا منتصف النهر حيث المياه عميقة، فك رباط قربة أحدهم فخرج منها الهواء وشارف على الغرق .. وطلب المساعدة من صديقه فقال له هذا المثل، أي أنه السبب فيما حصل له، فهو من نفخ وهو من ربط ..

- ضحكت كثيرا لجمال هذه الحكمة، ومفرداتها الغريبة والرائعة، ثم قلت للنثر:

- لقد أحسن صديقك الشعر، شرح إحدى حكمك، فماذا عنك ؟

- قال مبتسما:

- إنه أغرب بيت من الشعر قاله المتنبي، لكن عفوا هل تعرف

المتنبي

- فقلت محرجا:

- في الحقيقة لم أسمع به من قبل

- فقال ممتعضا:

- وكيف لمثله أن يجهل، إنه أشهر من نار على علم .. إنه الشاعر

العباسي المفوه الطيب المتنبي صاحب القصيدة المشهورة :

«الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس

والقلم

أما معنى البيت الشعري فيقصد الشاعر: لقد أحاط بي ألم لم

أعرفه من قبل، وإن جاء وقت شفائه من الله فقد حان وقت ذلك له »

لقد نثرت لك البيت لتفهمه، لكنه شعرا أجمل وأرق

صمت منبرا لما سمعته وقلت:

- حقا ما أجمل لغتي وما أعذب مفرداتها وما أرق معانيها وهنا

تذكرت بيتين من الشعر حفظتهما عن معلمي يمدح فيهما اللغة العربية،

حيث يقول:

- أنا لغة الأعراب من كل أمة أنا لغة الآداب من سابق الدهر  
- أنا لغة قد شرف الله قدرها بها أنزل القرآن في ليلة القدر  
صفق الجميع في إعجاب لما قلته، أما الشعر والنثر فقد غمرتهما  
الفرحة

- وهنا قلت:

- رأيتهما، كلاهما رائع في مجاله، فأنتما تقدمان لنا أجمل  
الكلام بطريقة فنية وأدبية راقية ورائعة، ولا يمكن التفضيل بينكما،  
فبفضلكما سمعنا أعذب القصائد، و أجمل الرسائل ..  
- نظر النثر إلى الشعر وقال له معذرا:

- أنا حقا أسف على ما بدر مني من تكبر وسوء ظن، ومن الآن  
وصاعدا أعدك لن أفاخر أحدا فالعاقل يتأسف والأحمق يتفلسف.  
- فقبل الشعر اعتذاره وقال منشدا:

- إذا ما الذنب وافى باعتذار .. فقابله بعفو وابتسام  
- ولا تحقد وإن ملئت غيظا ... فإن العفو من شيم الكرام  
لقد سامحتك يا صديقي، ثم تعانقا وتصالحا، كان كتابي يذرف  
دموع الفرح .. فخورا بي وبإنجازي ..أما أنا فكنت أرغب وقتها أن أقبل  
رأس معلمي فهو من علمني هذه الدرر والجواهر ، ثم علقت قائلا:  
- ما أجمل ما بحتما به من عبارات مائعة ونافعة، أنا حقا  
أشكركما، فقد تعلمت منكما الكثير ..

ثم تجولت أنا وكتابي في قسم الأدب أبحث عن الورقة المفقودة،  
لكني لم أعثر عليها، لكن أثناء بحثي لفت انتباهي عناوين القصص  
والروايات والقصائد التي تدعوك حقا لمطالعتها واكتشاف ما في جعبتها  
..كالبخلاء للجاحظ، وحكايات ألف ليلة وليلة ، وكليلة ودمنة لابن  
المقفع وروايات من الأدب العالمي كأليس في بلاد العجائب ، وقصة  
النملة والصرصور .. وقلت في نفسي متحسرا:

- كيف فاتني كل ذلك؟ كل هذا الزخم من القصص الذي يحمل من المعاني ما يجعل قلبك ينبض حياة، وعقلك حكمة.. إنها نزهة للعين وممتعة للفكر.. والتكنولوجيا بألعابها الالكترونية الشيقة تقف عاجزة عن ذلك، ما حصل لي جعلني أفكر مليا في الطريقة الصحيحة التي أنظر بها للأمور مستقبلا، وهنا تذكرت العالم «آينشتاين» الذي سألوه عن سر عبقريته فأخذهم إلى المكتبة وأشار إلى كتب الخيال العلمي وقال:  
- هؤلاء هم أساتذتي ..

معه حق، حتى الأديب الرائع «مصطفى محمود العقاد» الذي لم يكمل دراسته، وانقطع عنها منذ سن صغيرة، عكف على مطالعة بطون الكتب التي كانت في مكتبة قديمة كان قد اتخذها منزلا له، والنتيجة أصبح قامة وقيمة أدبية راقية حتى لقب براهب محراب الأدب، ألف الكثير من الكتب أشهرها «العبقریات».. بل وألّفوا فيه الكتب لحالته الفريدة من نوعها

سرح خيالي بعيدا، ولم أنتبه إلا وأنا في قسم العلوم والتكنولوجيا، فقال لي صديقي الكتاب:

- لا أعتقد أن الورقة المفقودة موجودة هنا في هذا القسم، إنه قسم خاص بالاختراعات والتكنولوجيا؟  
- فقلت له مطمئنا:

- تفاءل خيرا يا صديقي، فما زال الأمل قائما في إيجادها، كما أنني تعلمت معك الكثير، فصحبتك ممتعة ومفيدة.  
وفجأة لمحت كتابا على الرف، قد برزت منه ورقة.. تهللت أسارير وجهي وركضت نحوها لأتأكد فقد تكون الورقة التي نبحث عنها.. اقتربت من الكتاب ومددت يدي لأخرجه من الرف، لكنه قام فزعا من سبات عميق وقال:

- من هناك؟ من أنت؟ وماذا تريد مني؟

- فتراجعت وقلت:
- أنا آسف لإزعاجك أيها الكتاب، لكن هناك ورقة يبدو أنها ليست من ضمن صفحاتك
- فقال غاضبا:
- ماذا تقصد؟ أنني غير مرتب .. وما ذنبي أنا إن كان أحدهم قد تصفحني بعنف وتسبب في عدم التناسق بين أوراقى، فبرزت إحداها.
- فقال كتابي متضامنا معه:
- معك حق، فهناك قراء لديهم من الرقى والاحترام للكتب ما يجعلهم ينزلونها منزلتها التي تليق بها، فيتصفحون أوراقها بلطف، أما الآخرون – سامحهم الله - فلا يكتفون بتصفح أوراقنا بعنف وهي أوراق ضعيفة لا حول لها ولا قوة ، بل يتمادون في رسمون فيها ، أو يطوونها ، أو حتى يمزقونها كما حدث معي .. ثم أجهش بالبكاء
- فقال الكتاب الأخر متأثرا:
- يا لك من كتاب مسكين، قصتك حقا حزينة
- ثم أردف قائلا:
- إذا أنت تبحث عن ورقتك المفقودة، أليس كذلك؟
- فرد عليه كتابي وهو لا يزال يجهش بالبكاء:
- بلى، إنها جزء مهم مني .. وعلي العثور عليها مهما كلفني الأمر
- كان يتحاوران فيما بينهما، أما أنا فقد كنت صامتا أشاهد صديقي الكتاب وهو يعاني بسببي حينها أدركت فظاعة ما فعلت وبشاعة ما اقترفت، فهذه الكتب تحمل روحا داخلها .. إنها روح مؤلفها الذي سهر الليالي يؤلف السطور ويتفحص المعاني وينقح العبارات ويختار بعناية الكلمات لتؤدي واجبها في إيصال رسالته .. إنها تمثل حياته وأفكاره وتجاربه قدمها لنا بين دفتي كتاب لتساعدنا في تحسين حياتنا العلمية والعملية .. وهذه الكتب ردت له الجميل فخلدت اسمه ورسمه، فهو

باق ببقائها وإلا فكيف لنا بمعرفة أسماء أكل عليها الدهر وشرب أمثال « ابن سينا » و« سقراط » وغيرهما .. كنت ألوم نفسي باستمرار على ما فعلته بحقها، وعلي أن أكفر عن خطئي هذا. نظرت للكتاب وقلت:

- هل تسمح لي بمساعدتك وتنظيم أوراقك.

نظر إلي متوجسا، وكاد يرفض عرضي لكن صديقي الكتاب أخبره بأنني إنسان رائع ومحب للكتب .. فاقتنع أخيرا ووافق .. حملته برفق ووضعته على الطاولة، مسحت غلافه الخارجي لأكشف عن عنوانه، كان عن السير والتراجم للشخصيات العظيمة التي ملأت العالم باكتشافاتها واختراعاتها .. ويبدو أنه كتاب قيم حقا .. ثم فتحته على مهل وبدأت أرتب أوراقه وأعيد تنسيقها، وكما كانت دهشتي حين قرأت معلومة عن أول من جرب الطيران في التاريخ، ذلك الحلم الذي راود البشرية منذ زمن بعيد، فقلت مستغربا:

- «عباس بن فرناس» أول من جرب الطيران، أمر عجيب

- فقال الكتاب:

- أجل إنه العالم المسلم المخترع والفيلسوف والشاعر الكبير

الذي ولد بالأندلس

- فقلت متشوقا:

- أرجوك أخبرني عنه المزيد

- فقال الكتاب:

- كان متوقد الذكاء، فقد صنع أول قلم حبر في التاريخ، وصنع

أيضا نظارات طبية .. واختراعات أخرى عديدة

- فقلت منبرا:

- معقول، لكنني لم أسمع عن ذلك من قبل

- فرد الكتاب غاضبا:

- لأنك ببساطة لا تطالع

- فقلت له معذرا:
- معك حق، لكن أرجوك أخبرني عن تجربته في الطيران
- فقال الكتاب متفاخرا:
- إنه من أجمل الشخصيات المكتوبة على أوراقى، فقد أنشأ هذا العالم الفذ غرفة في بيته محاكية للسماء، فالزائر لهذه الغرفة يشاهد السحب والنجوم والبرق والصواعق التي صنعها بواسطة تقنيات يديرها من معمله تحت منزله.. كل هذا من أجل فقط تحقيق حلم الطيران
- دهشت لما سمعت، وازداد فضولي لأسمع المزيد عنه وعن اختراعاته
- ثم أردف الكتاب قائلا:
- كان يتقن اليونانية وترجم بعض كتب الفلسفة والموسيقى منها إلى العربية، كما أنه أجاد العمل بالرسم الهندسي، وبرز بالشعر وقول الموشحات وتلحينها وغنائها على آلة العود.. وكانت محاولته في الطيران ناجحة ولكن ..
- فقلت متحمسا :
- لكن ماذا حدث أكمل أرجوك؟ فقد شوقتي أكثر..
- يبدو أنك حقا مهتم به، اسمع القصة إذا:
- قبل أن يطير «ابن فرناس» درس ثقل الأجسام وتأثير الهواء فيها وخصائص الأجسام بعد أن يلامسها الهواء باعتباره فيزيائيا وعالم فلك، فكسا نفسه بالريش، وطار من مسجد قرطبة الكبير أمام جمع من الناس واستطاع فعلا أن يطير لمسافة معتبرة، لكنه نسي شيئا مهما
- فقاطعه قائلا:
- ما الذي نسيه؟
- رد الكتاب:
- لقد نسي أن يصنع ذيلا للجناحين الذين طار بهما، فسقط و..

- فقلت متأثرا:
- هل مات؟
- ابتسم الكتاب وقال:
- لا لم يمّت، لكن محاولة هبوطه الفاشلة سببت له كسورا بالغة في ظهره، وعاش بعدها أحد عشر عاما يعاني من آثار تلك السقطة
- فقلت مستاء:
- إنه حقا مجنون، كيف يقدم على عمل خطير كهذا؟
- ضحك الكتاب وقال:
- هذا أيضا ما نعتته به من عاصروه، لكن اعلم يا عزيزي أنه بتجربته هذه فتح بابا واسعا أمام من جاء بعده في عالم الطيران..كما أن وكالة «ناسا» أطلقت اسمه على فوهة قمرية ، تكريما له ولإنجازاته
- لفت انتباهي كلمة «ناسا» فتساءلت مستغربا:
- هل قلت وكالة «ناسا»؟
- رد الكتاب:
- أجل
- فقلت:
- هل تقصد وكالة الأبحاث الفضائية الأمريكية؟
- لاحظ الكتاب حيرتي فسألني قائلا:
- وما العجيب في الأمر؟
- قلت:
- ومن أين يعرفون هم عن «ابن عباس بن فرناس» واختراعاته، وأنا من بني جلدته بالكاد أعرف قصته؟
- ابتسم الكتاب ابتسامة ساخرة وقال متألما:
- السبب بسيط يا بني، فالحل في كلمة «اقرأ» هذه الكلمة الرائعة التي كانت أول ما نزل على نبيينا الأمي الذي علم الأمم «محمد» -

صلى الله عليه وسلم – هم قرأوا وطالعوا، فتقدموا وتطوروا، أما نحن فاكتفينا بقراءة كتب تفسير الأحلام لكثرة نومنا وأحلامنا وكتب الطبخ لشراھتنا وحباً في إشباع بطوننا فأضحت أجسامنا عظيمة وعقولنا صغيرة، أندري يا بني عندما كنا في أوج حضارتنا كان الغرب يتخبط في الجهل والظلام، هل تعلم سر تطور الغرب في شتى العلوم؟

- فقلت:

- أعتقد أنهم يقدسون العلم، ويحترمون العلماء

- فقال:

- أحسنت بني، لو تجولت في مكباتهم ستجد أغلب مخطوطات علمائنا القديمة محفوظة عندهم بعناية فائقة، فهم أخذوا علوم الطب من «ابن سينا» والرازي» و«ابن النفيس» وغيرهم، والرياضيات من العالم الجليل الخوارزمي

- فقلت متحمساً:

- تقصد العالم الذي اخترع الأرقام العربية، وزاد عليها الرقم

صفر

- قال:

- نعم، لقد أحدث اختراعه ثورة في عالم الصناعة والتكنولوجيا.

- فسألته في فضول:

- ماذا تقصد؟ اشرح لي أرجوك

- يعد الصفر أول الأعداد وأكثرها شهرة واستعمالاً، وأهمية

وروعة فمنه يبدأ كل شيء وفيه ينتهي كل شيء ويستحيل على الأعداد الاستمرار دونه ..

- فقلت له متذمراً:

- أنا أكره الصفر خاصة عندما أحصل عليه كعلامة على فشلي

في التحصيل العلمي ..

- فقال الكتاب متهكما:
- إنه ذنبك فأنت من تكاسلت وقصرت، وليس ذنب الصفر
- ضحك صديقي الكتاب وقال:
- إذا أنت مهمل في دراستك، أليس كذلك هيا اعترف؟
- شعرت بالإحراج وقلت:
- السبب هو هاتفي المحمول وحاسوبي، فهما يشغلانني عن دراستي

- فقال الكتاب:
- عليك أن تتحمل مسؤولية تهاونك، فلا تلق اللوم على التكنولوجيا فهي مجرد أدوات، وأنت هو المتحكم فيها ..
- طأطأت رأسي خجلا وقلت:
- معك حق، أنا أعترف أنني مهمل ومتقاعس
- ثم أردف الكتاب قائلا:
- بالمناسبة على ذكر التكنولوجيا، ألا تعلم يا صديقي أنها ما كانت لتكون لولا الصفر
- فسألته مستغربا:
- ماذا تقصد؟ وضح لي رجاء؟
- ضحك الكتاب وقال:
- منطق عجيب أليس كذلك:
- قلت:
- بلى

- حسنا سأشرح لك دور الصفر في حياتنا العصرية المتطورة، عليك أن تعلم أن الأنترنت والهواتف المحمولة وشبكات الاتصال وغالبية الأجهزة الكهربائية مبنية على النظام الثنائي المكون من رقمين هما الصفر والواحد.. حتى الأعداد لا تستطيع الاستغناء عن خدماته

- فقلت متعجبا:
- الآن فهمت، لماذا الصفر بهذه الأهمية، لكن ألم تلاحظ شيئا؟
- فقال الكتاب مستفهما:
- ماذا؟
- فقلت ساخرا:
- صحيح أننا اكتشفنا الصفر، لكننا للأسف لم نغادره .. بل بقينا داخله
- تنهد الكتاب وقال:
- هذا ما يحدث عندما أمة «اقرأ» لا تقرأ، أتدري ما يؤلمني حقيقة؟
- قلت: لا
- قال:
- إنني أحمل بين جنبي كنوز المعرفة، لكنني مهمل لسنوات .. فلا أحد يهتم .. فمتى ينتهي هذا الكابوس ويعود الناس كسابق عهدهم في الماضي يقرأون ويطالعون .. فهذه الأمة لن تنهض من سباتها إلا بالقراءة
- وهنا تذكرت قول معلمي عن أهمية القراءة، فطالما كان يحثنا على ذلك، ودون أن أشعر ذرفت دموع الحسرة، اندهش الكتاب وقال:
- ماذا دهاك؟ لماذا تبكي؟
- نظرت إليه بإكبار وضممته إلى صدري وقلت له:
- شكرا لك أيها الكتاب الحكيم، فقد تعلمت منك الكثير، وقد نهيتني من الغفلة التي كنت فيها، وأعدك أنني سأغير للأفضل وسأطالع الكثير من الكتب.
- ضحك الكتاب وقال:
- زادك الله علما وفهما يا بني، بقيت آخر نصيحة أقدمها لك، فقد أحببتك كثيرا، وأنصحك أن تعمل بها فهي ثمينة

- قلت متحمسا:  
- كلي آذان صاغية، فما هي هذه النصيحة الغالية التي تود قولها لي؟

- فقال:  
- خير جليس وأنيس في هذه الدنيا هو كتاب الله، تدبره يا بني ففيه من الآيات والعبر، ما عجز عنه البشر  
- نظرت إليه بامتنان وقلت:  
- صدقت والله، ضيعنا كتاب الله، فضعنا في هذه الحياة وأصبحنا في ذيل الأمم، أما سلفنا الصالح فقدموه وعظموه، ففتح الله لهم أسرار العلوم حتى سبقوا بها عصرهم وبلغوا بها الآفاق ..  
ثم حملته وقبلته وأعدته إلى مكانه وودعته قائلا:  
- لن أنساك أبدا سأخبر عنك أصدقائي وسأعود لزيارتك لاحقا، وهذا وعد مني

- فابتسم وقال:  
- بل أنا من عليه أن يشكرك، فقد رتبت أوراقى ومسحت عني الغبار جزاك الله خيرا، لن أنسى معروفك هذا أبدا .. أنت حقا ولد رائع شعرت بالفخر والاعتزاز وأنا بصحبة هذه الباقية الرائعة من الكتب، لقد تعلمت منها الكثير في وقت وجيز. الآن فقط فهمت ما يرمي إليه معلمي، عندما قال: علي أن أندوق شهد العسل من بطون الكتب. مضيت أنا وصديقي الكتاب نواصل بحثنا عن الورقة المفقودة لكن دون جدوى ، كنت أتألم سرا عندما أنظر إليه وهو يبحث معي بين الكتب عن ورقته ، كانت نظرة الحزن تعلو وجهه عندما نفشل كل مرة في إيجادها ، وهذا ما كان يزيد من تأنيب ضميري لي أكثر .. لم أعد أحتمل فتوقفت ونظرت إليه وأنا أذرف دموع الندم وقلت له :  
- اسمعني يا صديقي، علي أن أصارك بشيء

- نظر إلي بوجهه البريء وقال مستفهما:  
- ماذا هناك؟ ما الذي تود قوله لي؟  
- استجمعت قواي وقلت:  
- أنا آسف .. أنا حقا آسف يا صديقي  
- ازدادت دهشته وقال:  
- لكن ما الذي تأسف عليه؟  
- فقلت وأنا أجهش بالبكاء:  
- سامحني يا صديقي، فأنا .. أنا من مزق ورقتك، أنا سبب  
تعاستك، كم كنت أنانيا حينها ولم أراع شعورك .. أنا ولد سيء وعديم  
المسؤولية .. أرجوك أن تسامحني .. أرجوك  
نظر إلي الكتاب مشفقا وقال:  
- لا عليك، صحيح أنني فقدت ورقتي وحزنت لأجلها كثيرا، لكنني  
في المقابل وجدت صديقا رائعا مثلك .. أنت لست سيئا، أنت ولد صادق  
تتألم للألام الآخرين وتسعى لمساعدتهم، لقد خضت معك مغامرة رائعة  
لن أنساها أبدا فقد طفت بي أرجاء المكتبة وعرفتني على كتب جديدة ما  
كنت لألتقيها لولاك ..  
ثم اقترب مني وحاول أن يمسح دموعي، فضممته إلى صدري  
وقبلته ممتنا، لأنه سامحني فقد أزاح عني الشعور بالذنب الذي أثقل  
صدري.  
وفي هذه الأثناء حدث شيء غريب إذ تحلقت حولنا الكتب تغني  
في سعادة وابتهاج وأضيتت المكتبة وامتألت الأجواء سحرا وبهجة، لا  
أصدق ما أراه هل أنا في حلم أم في علم؟ وفجأة سمعت وقع أقدام  
أحدهم أتيا من بعيد، وزادت دهشتي لما رأيت وجهه، لقد كان المشرف  
العام على المكتبة يحمل في يده ورقة، نظر إلي مبتسما وقال:  
- أيها الولد الشقي هل كنت تبحث عن هذه الورقة؟

- بكيت من الفرح وقلت:
- أجل إنها هي، لكن ما الذي حصل، كيف وصلت إليك؟ وكيف عرفت أنني هنا؟
- ضحك وقال:

- هذا سرفقد كنت أراقبك طوال الوقت، والآن هيا يا بطل خذ الورقة وأعدّها مكانها

أمسكت الورقة بيد مرتجفة ونظرت إلى صديقي الكتاب الذي كانت تغمره السعادة بعودة الورقة المفقودة إلى مكانها بين الأوراق تحت تصفيقات الكتب وهتافاتهما، لقد كان حدثا عظيما لن أنساه ما حييت.. كان الكل سعيدا بهذه النهاية الرائعة. فعلا ما أجمل لم الشمّل بعد الفراق.. حان وقت الوداع فمهمتي قد انتهت وعلي العودة للبيت، لكنني لا أستطيع مفارقة صديقي الكتاب، نظرت إليه وعينايت تذرّفان الدموع وقلت:

- علي الرحيل الآن، لكنني سأزورك مرارا وتكرارا أعدك بذلك
- فقال الكتاب:
- سأكون بانتظارك يا صديقي، لتتعلم معا أشياء جديدة ومفيدة

- ابتسمت وقلت:
- حسنا، إلى اللقاء يا صديقي
- لكن المشرف على المكتبة استوقفني وقال:
- يمكنك أن تصحبه معك إلى البيت، فهو هدية مني إليك
- لم أصدق ما سمعته، فقلت له:
- هل أنت جاد فيما تقول، هل يمكنني حقا أن أخذه معي إلى

البيت

- قال مبتسما:

- أجل، هناك نسخة منه في مكتبتنا، أما هذه فهي النسخة الأصلية، ولن أجد من يعتني به أفضل منك
- كنت أقفز من السعادة لسماعي هذا الخبر، عدت إلى الرف مسرعا وحملت معي صديقي الكتاب ، لكنه كان جامدا لا يتحدث فاستغربت وقلت :
- لماذا لا يستطيع الكلام ؟
- فقال المشرف :
- لقد عشت مغامرة شيقة في مكتبي ، وأرجو أن تحتفظ بالسر للأبد أما الكتاب فلن يستطيع محاورتك مجددا ، لكنك تستطيع أن تحدّثه وقت ما شئت وتأكد أنه سيسمعك ويعينك .. كما أرجو أن تكون قد استفدت من الدروس التي تعلمتها هنا في هذه المكتبة العريقة
- قلت له :
- أنا حقا ممتن لك ، ولكل ما تعلمته هنا ، لقد تغير تفكيري تماما عن الكتب وتغيرت نظرتي إليها ، لقد صرت أحبها وأحترمها ، بل وسأسعى لحمايتها من التلف ومن كل من يسعى لتمزيقها أو حرقها
- ابتسم المشرف ابتسامة الرضا وقال :
- أرجو أن تزورنا دائما فزيارتك تسعدنا
- فقلت مبتهجا :
- وهذا ما سأحرص عليه من الآن ، مع السلامة وشكرا لك مجددا

خرجت من المكتبة أحمل بين ذراعي صديقي الكتاب وكأنني أحمل كنزا ثميناً، لقد كانت حقا تجربة لا تنسى .. لقد حولتني إلى إنسان آخر، إنسان يحب المطالعة ويعشق الكتب، كانت الحماسة تدب في أوصالي والفرحة تسري في دمي وكأنني ولدت من جديد، أجل فأنا لا أبالغ لقد حررتني الكتب من قيد التكنولوجيا التي حاصرتني لأعوام فعلمتني

الكسل والخمول، والاعتماد على ما كل هو جاهز فأصبحت هي أجهزة ذكية وأنا مجرد ناسخ غبي أنقل عنها المعلومات والأفكار من غير تفحص ولا تمحيص..كنت أضيع وقتي في التفاهات والألعاب ومواقع التواصل الاجتماعي الزائفة، لم أعرف قيمة الوقت، وأهمية العلم إلا من خلال تجربتي التي مررت بها..الآن فقط فهمت الآية التي تقول: {وقل رب زدني علما }

عدت إلى البيت منشرح الصدر، مبتهجا على غير عادتي دخلت وقبلت يد أمي وأبي وأيتهما كتابي الرائع الذي حصلت عليه كهدية من المكتبة، كنت أشرح لهما قيمته وفائدته ومعلوماته القيمة، لم يصدقا ما يسمعانه مني ، كانت أمي تتصفح وجهي بعينين فاحصتين وتضع يدها على جبيني معتقدة أنني أهذي ، أما أبي فلم يحرك ساكنا بل بقي مصغيا بانتباه ، ينظر إلي تارة وإلى أمي تارة أخرى..كانت علامات الاستغراب بادية على وجههما..المسكينان اعتقدا أنني جننت ، إنه أمر مضحك أليس كذلك ؟

دخلت غرفتي وبدأت أطلع كتابي من أول صفحة، بكل حب وشوق، وبعد مدة دخلت أمي وقالت:

- «سمير» ألا تشعر بالجوع بني، تعال لتتغذى معنا

- فقلت لها:

- أنا مشغول يا أمي، علي أن أكتب مقالا عن معنى اقرأ ودلالاتها

كما طلب منا المعلم ..

- ضحكت أمي وقالت:

- حسنا، لكني أعددت لك طبقك المفضل .. فلا تتأخر بني

استمررت في المطالعة بهم لكني كنت جائعا جدا ومعدتي تقرر، كما أنني لم أستطع مقاومة رائحة الطعام الشهوي الذي أعدته أمي، فوضعت كتابي جانبا وانطلقت كالسهم نحو المائدة التي زينتها أمي

بما لذ وطاب من أصناف الأكل، كان لعابي يسيل وعيوني تدور وجلست  
أكل بهم شديد كان أبي ينظر إلي مندهشا ثم قال:

- على رسلك يا بني، امضغ الطعام جيدا وإلا ستؤمك معدتك  
- فقلت له وفي ممتلىء بالطعام:  
- أنا جائع جدا يا أبي، ولا أستطيع أن أضبط نفسي أمام هذا  
الأكل الشهي ... سلمت يداك يا أمي ، أنت حقا طباحة ماهرة .  
- ضحكت أمي وقالت:

- منذ زمن لم تأكل بمثل هذه الشراهة، فما السبب يا ترى؟  
- ضحك أبي وقال:  
- السبب بسيط، لقد تخلص من إدمانه على الهاتف والحاسوب..  
- فقلت متعجبا:

- وما دخلهما في شهيتي يا أبي؟  
- فقال:

- هما سبب تدهور صحتك يا بني، فأنت كنت تقضي معظم  
وقتك تلعب الألعاب الإلكترونية غير مدرك لأثارها السلبية على صحتك  
ونفسيك، فهي من جعلتك تفقد الشهية للأكل وأصابتك بالنعافة  
المفرطة.

- فقلت متعجبا:

- حقا

- فقال أبي:

- أجل يا بني، وليس هذا وحسب، بل هناك سلبيات أعظم

وأخطر

- فقلت في فضول:

- وما هي يا أبي، أرجوك أخبرني المزيد

نظر إلي أبي وقال:

- قل لي ألم تعاني من الإجهاد في يديك وعينيك  
- قلت: بلى  
- قال:  
- وماذا عن النوم، ألم تعاني من الأرق المزمن والمزاج السيء؟  
- فقلت مندهشا:  
- وكيف عرفت؟  
- أجبني عن سؤالي أولا:  
- ما طبيعة الألعاب الإلكترونية التي كنت تلعبها؟  
- فأجبته متحمسا:  
- ألعاب القتال والمعارك يا أبي، إنها رائعة وشيقة خاصة عندما  
تلعبها مع رفاقك وتربح الجولة تلو الجولة، والمعركة تلو المعركة.. إنها  
تبدو حقيقية وواقعية ..  
- فقال أبي:  
- إذا أنتم تمثلون دور الأبطال على أرض المعركة وتتحدون لقتل  
عدو وهمي يسعى هو الآخر للقضاء عليكم أليس كذلك؟  
- بلى يا أبي أنت محق  
- وماذا يحدث إذا خسرت المعركة؟  
- نغضب ونصرخ ونتوتر، وأحيانا نبكي ونفقد الشهية للأكل،  
ويتعكر مزاجنا وقد يستمر الحزن ليوم كامل.  
- فقال أبي :  
- ولم كل هذا، فهذه مجرد لعبة وهمية ليس إلا؟  
- لا يا أبي، إنها مسألة مبدأ فنحن ننسجم مع الأبطال فكأننا  
واحد، ولا نقبل بالهزيمة ولا نتقبلها، بل وأحيانا نتخاصم نحن الأصدقاء  
فيما بيننا من أجلها، بل ونضحي بوقت طعامنا ونومنا من أجلها..  
ثم توقفت عن الكلام فجأة، وقلت:

- الآن فهمت ما ترمي إليه يا أبي ..معك حق لقد أدركت للتومعنى كلامك أنني أصبحت مدمنا عليها .. نعم إنه الواقع إنها تؤثر على عقولنا نحن الصغار بطريقة غريبة، وكأنها تنومنا مغناطيسيا ..
- فهزأبي رأسه وقال:
- هذا ما كنت أود شرحه لك منذ مدة طويلة، لكنك كنت ترفض حتى سماع نصائحنا أنا وأمك.
- طأطأت رأسي خجلا وقلت:
- أرجو أن تسامحاني على تصرفاتي السيئة تجاهكما في الماضي، لقد أبعدتني هذه التكنولوجيا عن حضنكما وحنانكما زما طويلا، لكني أعدكما لن أكرر أخطائي الماضية مرة أخرى.
- ربت أبي بيده على كتفي وقال:
- هون عليك يا بني، فنحن نتعلم من أخطائنا دائما، فليس عيبا أن نخطئ، وإنما أن نستمر في خطئنا.
- وقالت أمي:
- أجل يا بني فنحن كنا نغضب من تصرفاتك وليس منك، فنحن نحبك كثيرا، ونسعى دائما لمصلحتك..
- كان الندم يعتصر قلبي، فقد ضيعت الكثير من اللحظات الجميلة مع عائلي دون أن أدرك ذلك، بل وكدت أرسب في دراستي بسبب هذه التكنولوجيا ..فقلت لأبي غاضبا:
- من الآن فصاعدا لن أقرب من هذه التكنولوجيا اللعينة أبدا.
- ابتسم أبي وقال:
- لا يا بني، ليست المشكلة في التكنولوجيا، وإنما في طريقة استخدامها، فهي سلاح ذو حدين .. تنفعك إن أحسنت استعمالها وتضررك إن أسأت استخدامها .. وتذكر دائما هذه النصيحة إذا زاد الشيء عن حده انقلب إلى ضده ..

ابتسمت وقلت لأبي:

- حسنا يا أبي سأضع نصيحتك دائما نصب عيني، لكن هناك شيء يشغلني دائما؟

- فقال:

- وما هو، قل؟

- لماذا تجدنا نفضل التكنولوجيا على المطالعة والقراءة، مع أننا نعرف مساوئ الأولى وفضل الثانية؟

- ضحك أبي وقال:

- الجواب سهل

- نظرت إليه مستغربا وقلت:

- كيف ذلك؟

- فقال:

- سأضرب لك مثلا بسيطا لتفهم أكثر، انظر بني لنفترض أنك كنت تشعر بالعطش ووضعوا أمامك حبة برتقالة، وأيضا عصير برتقاله عليه مضافات صناعية لتزيد من حلاوته، وخيروك أن تأخذ أحدهما .. فماذا ستختار؟

- فأجبت بسرعة:

- العصير طبعا يا أبي، لأنه لذيذ حقا

- ضحك أبي وقال:

- ولماذا لم تختار البرتقالة يا بني، أليست لذيذة هي الأخرى؟

- أعلم أنها لذيذة، لكن ليس لدي وقت لتقشيرها وأكلها، عكس العصير الجاهز.

- ثم سألني أبي:

- عظيم، لكن من برأيك أكثر نفعاً للجسم البرتقالة الطبيعية أم العصير المصنع؟

- فقلت: البرتقالة يا أبي.
- عندها قال أبي:
- هذا هو الجواب على سؤالك، يا بني .
- نظرت إليه مستفهما وقلت:
- أبي إنه يشبه اللغز، وأنا لم أفهم شيئا، أرجو أن توضح لي أكثر
- ضحكت أمي وقالت:
- إنه يقارن بين التكنولوجيا والقراءة، فشبه القراءة بالبرتقالة،  
والتكنولوجيا بالعصير الطازج، والكل يعلم أن أغلب الأطفال يفضلون  
العصير لأنه جاهز ومذاقه حلو جدا ولا يقاوم، رغم أن منافعه قليلة  
للجسم وإذا أكثرنا منه قد يضرنا، أما البرتقالة فعليهم تقشيرها  
حتى يأكلونها وهذا فيه مشقة لهم، مع أن فوائدها عظيمة للجسم،  
فالتكنولوجيا سهلة وسريعة، لا تبذل مجهودا فيها فكل شيء بضغطة  
زر لكنها تستنزف قواك العقلية والنفسية دون أن تدري، أما القراءة  
فرغم أن فيها مشقة في البداية ، لكنها تنمي عقلك وخيالك، وتغذي  
فكرك، وتبهج نفسك خاصة إذا تعودت عليها
- ضحكت وقلت:
- آه، الآن فهمت، يالك من عبقري يا أبي .. لقد أوصلت لي المعنى  
المطلوب بشكل مبسط وواضح.
- ضحك أبي وقال:
- بل أنت اللبيب يا بني، واللبيب بالإشارة يفهم، والآن تعال معي
- فقلت له متسائلا:
- إلى أين يا أبي؟
- فقال:
- اتبعني وستعرف.

سرت خلف أبي يدفعني الفضول، ثم توقف فجأة أمام غرفة مغلقة بإحكام، وكنت دائما أتساءل ما الموجود فيها، ولماذا أُمْنَع من دخولها؟

أخرج المفتاح من جيبه وفتحها، ثم نظرت إلي وقال:

- الآن فقط يمكنك الدخول إلى هذه الغرفة، ومعرفة ما فيها.  
دخلت وكلي شوق لأتفقد المكان، فانبهرت بما رأيته، لقد كانت تشبه المكتبة إلى حد بعيد، فيها الكثير من الكتب القيمة والمسلية وحتى العلمية والدينية، وفيها مكتب جميل وكروسي مريح للجلوس والمطالعة، كان عدد الكتب كبيراً، فلم أتمكن من عدّها، شعرت بفرحة غامرة وكأنني أقابل أصدقاء جدد، ودون أن أشعر ركضت نحو الرفوف لأنظرها عن كثب، لقد كنت متحمساً جداً وأرغب في مطالعتها جميعاً، نظرت إلى أبي وقلت له:

- أبي، هل هذه كلها كتبك؟

- ضحك أبي وقال:

- أجل يا بني، فأنا أهوى مطالعة الكتب وأحرص دائماً على اقتناء المفيد منها وقد حولت هذه الغرفة لمكتبة خاصة، حيث أجلس فيها طلباً للراحة، ولأطالع الكتب التي اشتريتها كلما سنحت لي الفرصة..  
- فقلت له:

- لكن لماذا لم تكن تسمح لي بدخولها من قبل؟

- لأنك حينها لم تكن تدرك قيمة الكتب، وكنت أخشى أن تمزقها، أو تتلفها، وهذا كان سيسبب لي حزناً عميقاً، فكل كتاب له في قلبي حب وتقدير خاص، فأنا أعتبر هذه الكتب بمثابة أولادي لذلك أسعى جاهداً للحفاظ عليها، أما الآن.. فيمكنك الدخول إليهما متى شئت، بل وسأخصص لك ركناً تضع فيه كتبك التي ستقتنيها مستقبلاً.

- هتفت عاليا من الفرحة، وركضت نحو أبي أحضنه، فقبل رأسي وحملني وأجلسني على الكرسي ووضع أمامي كتابا وقال لي وهو يضحك:
- خذ هذا الكتاب، إنه يتحدث عن فوائد القراءة والمطالعة، سيفيدك كثيرا في بحثك ..
- أمسكت يده وقبلتها وقلت:
- جزاك الله عني خيرا يا أبي، لقد تعلمت منك الكثير اليوم
- مسح أبي على شعري وقال:
- سأدعك تقوم بواجبك المدرسي الآن، وإن احتجت إلى مساعدة فلا تردد في طلبي بني ..
- أومأت برأسي موافقا وقلت:
- حسنا أبي، شكرا لك
- انصرف أبي وأغلق الباب خلفه وتركني أتصفح الكتاب، وأسجل المعلومات المفيدة منه .. بقيت كذلك مدة من الزمن حتى فرغت من واجبي المنزلي، مضى الوقت سريعا لكنني لم أشعر به فقد كنت منهمكا جدا، خاصة وأن المعلومات كانت قيمة ومثيرة .. ولم أنتبه إلا وأبي يفتح باب الغرفة يتفقدني، نظر إلي وقال:
- سمير، بني ألم تمل من القراءة بعد ؟
- فقلت:
- لا يا أبي إنه حقا كتاب قيم، لقد استفدت منه كثيرا، وسجلت معلومات مفيدة منه، شكرا لك أبي لقد ساعدتني كثيرا ..
- اقترب مني أبي وقال:
- حسنا لنرى ماذا كتبت ..
- قرأ مقالتي وقال:
- إنه مقال رائع حقا، أعتقد أن المعلم سيثني عليك كثيرا ..

ابتسمت فرحا لما سمعت، فهذه أول مرة أنجز فيها واجبا مدرسيا دون اللجوء لمساعدة حاسوبى، وإنما بالبحث والتدقيق والاعتماد على نفسي حقا إنه إنجاز له طعم خاص ..

نظرت إلى أبي وقلت:

- أبي هل يمكنني أن أحضر كتابي الذي حصلت عليه كهدية من المكتبة إلى هنا ..

ضحك أبي وقال:

- طبعا يا بني، يمكنك ذلك فهذه مكتبتك أيضا ..

ركضت نحو غرفتي وجلبت كتابي، ثم عدت إلى مكتبي الصغيرة،

ووضعتة هناك بين الكتب وقلت له:

- الآن أنت لست وحيدا، أرجوك إقامة طيبة هنا .. وابتسمت

نظرت إلى أبي باستغراب وقال:

- سمير ماذا تفعل، هل تتكلم مع الكتاب، لقد جننت حقا؟

ابتسمت وقلت:

- هذا يا أبي ليس كأى كتاب، وهو حقا يفهمني ..

فقال لي وقد ازداد استغرابه:

- ما الذي تقصده؟

- فقلت مبتسما:

- إنه سرلا يمكنني البوح به ..

وفجأة دخلت أمي الغرفة وقالت:

- هيا يا عزيزي، فالعشاء جاهز ..

فقلت أنا وأبي بصوت واحد:

- حاضر نحن قادمان .. ثم ضحكنا وانصرفنا ..

وفي صباح اليوم التالي استيقظت باكرا، تناولت فطوري وودعت

أبي وأمي، وخرجت متجها إلى مدرستي أشعر بالنشاط والحماس، وفي

الطريق التقيت بصديقي « عمر » كان يجرجر لجليه جرا ويبدو عليه الإرهاق فقلت له:

- أهلا عمر، كيف حالك؟

- فتثاءب طويلا ثم قال:

- أنا متعب وأشعر بالنعاس، وبالكدأ أستطيع فتح عيني فابتسمت وقلت:

- يبدو أنك لم تنم جيدا، أليس كذلك فعيناك منتفختان؟

- بلى، فقد سهرت طول الليل ألعب على حاسوبى، لقد وصلت

مراحل متقدمة جدا من اللعبة ...

استمريخبرني طول الطريق عن الأشواط التي قطعها في اللعبة والنصر الذي حققه فيها .. كنت أستمع إليه مشفقا عليه، فهولا يدرك قيمة الوقت الذي يضيعه في التفاهات والألعاب، بل لا يدرك حقا كيف أثرت على صحته البدنية والنفسية .. لكني لا ألومه فأنا أيضا كنت مثله فيما مضى

وصلنا إلى المدرسة، ودخلنا إلى القسم .. كنت أشعر بالحماس وأنتظر حصة التعبير الكتابي بفارغ الصبر لأعرض مقالى على معلمي وزملاي وفعلا حانت الفرصة المناسبة، وحن دوري فقمتم لألقي كلمتى، كان الجميع يصغي بانتباه، ارتبكت في البداية لكنى تشجعت وقلت:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، جئتكم اليوم بمقال كلفنا به المعلم عنوانه « اقرأ ودلائها »، لقد دهشت لما تعمقت في الأمر، وتأسفت لأننا نحن أمة اقرأ لا تقرأ، «اقرأ» هذه الكلمة النورانية السماوية التي كانت أول ما نزل على سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم - وكنت دائما أتساءل لماذا هذه الكلمة؟

وما السر الذي تحمله، ولماذا أمر نبينا الأمى بأن يقرأ؟ حتى قرأت

بطون الكتب وعرفت الإجابة، إنها منهج حياة، واكتساب للمهارات والخبرات والمعارف، فالقراءة تكسبك رصيذا لغويا كبيرا يساعدك على التعبير عن نفسك بشكل أفضل، وهي سر تقدم الشعوب والحضارات ففي فنلندا يوجد تمثال مكتوب عليه اقرأ حتى لو كنت تغرق، كما أنها تحفز العقل وتحسن الذاكرة وتجنبنكم مرض الزهايمر، وتجعلكم تسترخون وتبعد عنكم الإجهاد..

وهي باب للمعرفة تزيد من ثقافتك ومهاراتك الفكرية والكتابية والإبداعية، إنها تحلق بكم بعيدا في عالم الخيال حيث يكون المستحيل فيها ممكنا، والواقع ممتعا، فأنت خلال تصفحك للكتب تكون أشبه بالرحالة الذي يجوب أرجاء العالم، مسافرا عبر العصور والأزمنة، وتتجول في عقول المفكرين والفلاسفة والمبدعين، وهي مفتاح المعرفة تصقل شخصيتك وتزيد من ثقتك بنفسك وقدراتك، وترفع من شأنك فقيمة الإنسان ليست المال والجاه والذهب وإنما في العلم والأدب..

فبالقراءة نحارب الجهل والتخلف، فنحن نقرأ لنترقى فهي تخرجنا من عالمنا المحدود إلى فضاء أوسع لا محدود وتنقلنا من عالم المحسوسات إلى عالم المعاني والتصورات..حتى بالنسبة لنا نحن الأطفال فالقراءة في سن مبكرة تجعلنا أكثر فصاحة ووضوحا وتكسبنا قدرة أعلى على الفهم والتحليل المنطقي ، وأكثر تعاطفا وتركيزا وذكاء .. أما بالنسبة لنا نحن المسلمين الذين أمرنا بها فهي ليست مجرد متعة وتسلية فقط، وإنما هي وسيلتنا التي تقربنا من ربنا، فبالقراءة نتعلم، وبالعلم نعرف ربنا، وكلما ازداد المرء معرفة بربه العظيم ازدادت خشيته منه، لذلك قال تعالى في محكم تنزيله: « إنما يخشى الله من عباده العلماء»، وقال أيضا: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ..»

فالقراءة طريقنا إلى الجنة مصداقا لقوله - صلى الله عليه

وسلم-:» من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة .»

ولذلك كله علينا أن نقرأ حتى لا تصدأ أرواحنا، ويتبدد فكرنا، فالكتاب خير جليس وأنيس لكل حزين وتعبس أو باحث عن المعرفة وكل علم نفيس، وأفضل صديق عندما الدنيا بك تضيق، تتعلم منه الحب والوفاء والصدق والإخلاص ..لذلك اقرأ لتحيا، اقرأ أكثر ترى أكثر .. اقرأ هذه الكلمة التي بنيت عليها أعظم حضارة عرفتها المعمورة، فإن لم تطبق أول أمر نزل به رسول السماء إلى رسول الأرض فهل ستتهض أمتنا من جديد؟ .

كان الجميع ينصت بانتباه شديد وتركيز عال، فلما فرغت انتهالت علي التصفيقات من زملائي إعجابا لما قلت، حتى معلمي أقبل نحوي وقبل رأسي وبكى متأثرا، أما أنا فشعرت بالفخر لأن رسالتي وصلت فلعبها تحدث شيئا، فماذا عنك أنت يا صديقي القارئ؟ هل أعجبتك قصتي أم مقالتي؟؟ .

دق الجرس وغادرنا القسم باستثناء «عمر» الذي نام في الفصل، ما رأيكم يا أصدقائي ..هل أرسله إلى المكتبة ليتعلم الدرس؟؟؟

\*\*\*